بلاغةُ الإقناعِ في رسالتَي الجاحظ عنْ أحقِّيَّة الإمام عليٍّ عليه السلام بالخلافة، وفَضْلِه، وتفضيلِ بني هاشم على غيرهم

Rhetoric of Persuasion in Al-Jahidh's Two Letters on the Right of Imam Ali(A.S) in Islamic Caliphate: his Merits and Preference of Bani Hashim to Other Tribes

أ.د. عبد الإله عبد الوهّاب العرداويّ

جامعة الكوفة/ كلّيّة التّربية الأساسيّة/ قسم اللّغة العربيّة

Dr. Abdul Ilah A.W. Al-Ardawi (professor)

Department of Arabic/ College of Basic Education/

University of Kufa

ملخّصُ البحثِ

يُسلِّط هذا البحث الضّوءَ على دراسة رسالتين مهمّتين للجاحظ عن أحقّيّة الإمام عليّ عليه السلام وفضله، وتفضيل بني هاشم على غيرهم، وتبرز أهمّيّتهما في أنّهما لم تُدرجا ضمن رسائل الجاحظ، سواء الكلاميّة أم الأدبيّة أم السياسيّة، أم في كتبه الأُخَر التي حُقّقت مِن لدن الخُبراء، وإنّما وردتا ضمن كتاب (كشف الغمّة في معرفة الأئمّة)، لعليّ بن عيسى الإربليّ (ت ٦٩٢هـ)، ونقل عنه السّيّد هاشم البحرانيُّ (ت١١٠٧هـ) في كتابه (غاية المرام وحجّة الخصام في تعيين الإمام منْ طريقِ الخاصِّ والعامِّ)، وقد ارتأينا دراستهما ضمن معطيات بلاغة الإقناع، أو بلاغة الحِجاج، التي غدتْ من الملامح البارزة للدرس البلاغيّ الحديث، بهدف استكناه طريقة الجاحظ في الاستدلال والتوظيف للوصول إلى المجهول في هذه القضيّة الحسّاسة، والمزاوجة بين وظيفتي الخطاب الإقناعيّة والإمتاعيّة اللتين يتّكئ عليهما.

وفي ضوءِ ذلك، قُسِّم البحث على مقدِّمةٍ ومحورين، الأوّلُ: الإطارُ النّظريُّ، الّذي قُسِّم على فقرتين، الأولى: التّعريف بالمقولات والمصطلحات الواردة في البحث، كالحِجاج لغةً واصطلاحاً، والثّانية: بلاغة الإقناع في الثّقافة العربيّة (الجاحظ اختياراً)، ثمّ المحور الثّاني: الإطار التّطبيقيّ: وفيه كانتْ الخطوات

الإجرائية للبحث، ممثّلةً ببيان بلاغة الإقناع منْ خلال الأدلّة والبراهين غير الصّناعيّة (الجاهزة)، أو المقتنصة من خارج النصِّ لإكمال تشكيل دلالاته، (كالقرآن الكريم، والحديث النبويّ الشّريف، وأقوال الأئمّة عليهم السلام، والشِّعر، والحِكَم والأمثال)، وخُتِمَ البحثُ بنتائجه التي تَوصَّل إليها، ثمّ ثبْت المصادر والمراجع.

Abstract

This research paper sheds light on two important letters by Al-Jahidh on the right of Imam Ali in the Caliphate and his merits. It is also about how Bani Hashim are preferred to others. These two letters are not listed within his oral, literary or political letters, or his books that were investigated by scholars. They are only included in the book entitled Disclosing Grief in Knowing Imams (in Arabic) by Ali bin Essa Al-Erbily (died 692 of Hijra). The two letters have been studied from the rhetoric of persuasion viewpoint to recognize Al-Jahidh's approach in inferences and application. The paper includes an introduction and the theoretical part which introduces definitions of the expressions used and an explanation of the rhetoric of persuasion. The practical part which contains the procedural steps spotlighting the rhetoric of persuasion

through ready evidence drawn from outside the text such as the holy Qur'an, Prophet Mohammad traditions, Imams sayings, poetry, proverbs, and maxims. The paper is rounded off with conclusions and a bibliography.

مقدّمة

الحمدُ لله الذي مَنَّ علينا بنبيِّه الصَّادق الأمين محمّدﷺ وأهل بيته الطّاهرينعليهم السلام، والصّلاة والسّلام على أفضل خلقه، وأشرف بريَّته، أئمّة الهدى، وسفن النّجاة، آل البيتعليهم السلام المنتجبين، وبعد:

تُعَدُّ بلاغة الإقناع ركيزة من ركائز البلاغة العربيّة؛ إذ انبثقتْ من بلاغة اليونان عند السّفسطائيّين، فمنحتْ القول سلطة وقدسيّة، وإنّها -كذلك- مصدر انبعاث البلاغة الحديثة بعد عصور طويلة انحصر فيها اهتمام البلاغة في الصّورة والحِلْية والمحسّنات الأسلوبيّة، حتّى غدتْ بلاغة «مختزلة» بحسب قول (جيرار جنيت)، أو «ميّتة» بحسب قول (رولان بارت).

وبين المولّد القديم والانبعاث الحديث تبرز حركة عربيّة إسلاميّة شكّلت فيها بلاغة الجاحظ المقاميّة أساساً خصباً للتأليف بين القطبين الخطابيّ والشّعريّ، والمزاوجة بين الوظيفتين الإقناعيّة والإمتاعيّة، إلّا إنّ الحركة اتّخذت وجهة جديدة، فقدْ هيمنت بلاغة البديع لأسباب ثقافيّة ودينيّة وسياسيّة... .

أمّا اختيارنا للجاحظ ولرسالتيه عن أحقّيّة الإمام عليٍّعليه السلام بالخلافة وفضله وتفضيل بني هاشم على غيرهم، فلأسباب، أوّلها: أنّ الجاحظ من رجال الإسلام المعروفين بالعلم والفضل والاطلاع على حقائق العلوم والمعرفة بكلّ

جليل ودقيق، وثانيها: أنّه لم يكن شيعيّاً فيُتَّهم، وإنّما كان عثمانيّاً مروانيّاً، وله في ذلك كتب مصنَّفة، وإنّ انتماءه العقديّ معروف، فهو منخرط في نحلة المعتزلة التي تعدّ اللّغة والبلاغة سلاح المتناظرين والمجادلين، الذين يرومون نصرة مذهبهم وإقناع الآخرين به، ثالثها: أنّ الرّسالتين لم تردا في رسائل الجاحظ التي حقّقها عبد السّلام محمّد هارون، أو في كتبه الأُخَر، كالبيان والتبيين، والحيوان، وغيرهما، لاعتبارات مذهبيّة وثقافيّة وسياسيّة، وقدْ وردتا اختصاراً في كتاب (كشف الغمّة في معرفة الأئمّة)، لعليّ بن عيسى الأربليّ، ونقل عنه السّيّد هاشم البحرانيّ في كتابه غاية المرام وحجّة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاصِّ والعامِّ.

وفي ضوء ذلك، قُسِّم البحث على مقدّمة ومحورين، الأوّل: الإطار النظريّ الذي قُسِّم على فقرتين، الأولى: التعريف بالمقولات والمصطلحات الواردة في البحث، كالحِجاج لغة واصطلاحاً، والثانية: بلاغة الإقناع في الثقافة العربيّة (الجاحظ اختياراً)، ثمّ المحور الثاني: الإطار التطبيقيّ، وفيه كانت الخطوات الإجرائيّة للبحث ممثَّلة ببيان بلاغة الإقناع من خلال الأدلّة والبراهين غير الصّناعيّة التي تجسّدتْ في عدّة فقرات، الأولى: القرآن الكريم، الثانية: الحديث النبويّ الشّريف، الثالثة: أقوال الأئمّة عليهم السلام، الرابعة: الشّعر، الخامسة: الحكم والأمثال، وخُتم البحث بخاتمة عرضت أهمّ النتائج التي توصّل إليها، ثمّ ثبت المصادروالمراجع.

وأخيراً، هذا ما وفّقنا الله تعالى إليه في الكشف عن مواطن بلاغة الإقناع في نصِّ الرّسالتين، فنسأل الله الغفران إنْ قصّرتُ، ولم أستطع أنْ أُحيط بكلّ

الموضوع، أو فاتني شيء منه، وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمينَ.

الإطار النظري: التعريف بالمصطلحات والمقولات الواردة في البحث

أوّلاً: الحِجاج لغةً واصطلاحاً

نتيجة لتفاعل الذّوات الحجاجيّة في بنية المقولات الحِجاجيّة، وما يكتسي هذا التفاعل من جدال وإقناع وتأثير، تسعى الذّوات إلى البرهنة وإثبات الفاعليّة، فإنّ النّصّ الحِجاجيّ يُصبح مداراً لدلالات كثيرة، ما يجعل النّصّ (غير مغلق على جهازه اللّغويّ والمعنويّ)[1]، الذي سنحاول بيانه بما يأتي:

الحِجاج لغةً:

تُقدِّم المعجميّة العربيّة رؤيتها للحِجاج؛ إذْ تدور معاني الجذر اللّغويّ لكلمة (حجاج) (ح ج ج) على المجادلة بسبب خلاف الوجهة أو الرّأي أو ما شابه، وفيه الدّليل على الرأي المرغوب إثباته، وهذا ما نجده وارداً في بعض المعجمات العربيّة، فمنها مَنْ أورد معنى الحِجاج «غلبه بالحجّة، أو حاجّة محاجّة، وحِجاجاً جادله، واحتجّ عليه، أقام عليه الحجّة، وعارضه مستنكراً فعله، وتحاجّوا: تجادلوا، والحجّة الدّليل والبرهان»[2].

يظهر مِن هذا القول أنَّ الحِجاج يكون لخصومة، وهذا ما دلّت عليه كلمة (غلبه)، وتكون الغلبة في الكلام والخطاب الذي يُقيم الحجّة والبرهان على صحّة ما يُدَّعى، وما دام هناك خصومة، فالجدال هو المظهر الذي يجسِّد صورة الخطاب الحِجاجيّ، وقدْ ورد في أساس البلاغة: «حاجّ خصمه فحَجَّه، وفلان

خصمه محجوج»[٣]، ومعنى محجوج، أي: مغلوب، والشّخص المتكلِّم الغالب المُحاجِجُ، والسَّامع المُحاجَجُ المغلوب، أي: إنّه اقتنع بحجّة المتكلِّم.

وممّا يزيد هذا المعنى قوّة، ما قيل في لسان العرب: «فالحجة ما دُوفع به الخصم، ورجل محْجَاج أي جَدلٌ، والتحاج التخاصم، واحتج بالشيء اتخذه حجة»[٤]، ولذلك، فمَن يدَّعي صحّة رأيه عليه إثبات ذلك.

وقدْ ورد مفهوم الحِجاج في عدّة آيات في القرآن الكريم، منها:

قال تعالى: ﴿هَاأَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[٥].

قال تعالى: ﴿وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي الله وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاء رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ﴾[٦].

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي الله مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾[٧].

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ﴾[٨].

الحِجاج اصطلاحاً:

إذا ما تفحَّصنا المقولات المعجميّة[٩]، والبلاغة العربيّة[١٠]، وكذلك البلاغة الأرسطيّة في الخطاب الحِجاجيّ[١١]، فإنّنا نلحظ أنّها تُدرك الحِجاج بوصفه «حُججاً منطقيّة إقناعيّة دفاعيّة توظَّف من قبل المجادل بغية إقناع الجماهير»[١٢].

وأمّا (بيرلمان)، فإنّه يحدّ الحِجاج اصطلاحاً في ضوء البلاغة المعاصرة

بوصفه: «جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة تحفِّز المتلقّي على الاقتناع بما تعرضه عليه، أو الزّيادة في حجم هذا الإقتناع»[١٣]. وبذلك «يُعدُّ الحِجاج خطاباً ذا إقناعيّة تروم دفع المتلقّي إلى تغيير اعتقاداته، وتبني ثقافة وسلوكات وتصرّفات منشودة، انطلاقاً من حجج ملائمة لثقافة المتلقّي المفترض وتمثّلاته»[١٤]. والحجاجيّة وهي المصطلح المفضّل لدى (إريك كراب) تبتني «على جملة من التصوّرات والمقدّمات والفرضيّات التي ينسج منها المحاجج خططه البرهانيّة، فبهذه المقدّمات يُستمال المعنيّون، كما أنّ لهم الحقّ في رفضها إذا لم تنسجم مع تصوّراتهم، أو كانت من البساطة أو السّطحيّة بحيث لا تمثِّل أيّ عنصر جذّاب»[١٥]. ونرصد-كذلك- تعريفاً آخر للحِجاج بالنظر إليه على أنّه: «وسيلة المتكلِّم في جعل المتلقّي يتقبّل آراءه واتّجاهاته، وانتقاداته وتوجيهاته»[١٦].

أمّا الحِجاج عند (ديكرو)، فهو يفرِّق بين معنيين للحِجاج: المعنى العادي، والمعنى الفنِّي أو الاصطلاحيّ، والحجاج موضوع النظر في التداوليّة المدمجة هو بالمعنى الثاني.

والذي يعنينا في هذا البحث هو الحجاج بالمعنى الفنِّيّ الذي يدلُّ على صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب، والمدرجة في اللِّسان ضمن المحتويات الدّلاليّة[١٧]. وصفوة القول ممّا تقدّم، أنّ الحجاج عند (ديكرو) وزميله (انسكومير) يتركّز على أديم لسانيّ بحت، فهو حِجاج يقوم على اللّغة بالأساس، بل يكمن فيها، بينما الحِجاج عند (بيرلمان) و(تيتكاه) مثَّل نظرة منطقيّة، وهذا ما يُنزل الحِجاج في صميم التفاعل بين الخطيب وجمهوره.

ولا بدّ من القول هنا، إنّ هذه العجالة اللّغويّة والاصطلاحيّة لا تشكّل إلماماً بمصطلحات الحِجاج والمقولات المعرفيّة فيه، لكنّها تبقى إضاءة سريعة له في حدود صفحات البحث.

ثانياً: بلاغة الإقناع في الثقافة العربيّة/الجاحظ اختياراً

يُعدُّ الجاحظ من مؤسِّسي البلاغة العربيّة وواضعي خصائصها، وله قصب سبق في بلاغة الإقناع لاعتبارين أساسين: أوّلهما: إجماع الباحثين والنقّاد العرب على الدّور التأسيسيّ والرّياديّ الذي اضطلع به الجاحظ في تشكّل البلاغة العربيّة[١٨]، وثانيهما: أنّ الجاحظ«رجل محاجّة ومناظرة، ومتكلِّم عارف بتصاريف الكلام ووجوه الاحتجاج»[١٩].

وإذا كانت البلاغة العربيّة القديمة قدْ توزَّعها تيّاران بارزان، هما: تيار الإمتاع المرتبط بالبديع والانزياح والغرابة، وغيرها، وتيّار الإقناع المرتبط بالمناسبة المقاميّة التّداوليّة، فقدْ عُدّ الجاحظ مؤسِّس التيّار الثاني وواضع خصائصه[٢٠]، وتتّضح بلاغة الإقناع لدى الجاحظ من خلال مؤلّفه «البيان والتبيين»، فهو «نهاية اجتهادات الجاحظ البيانيّة»[٢١].

إنّ أهمّ أسس مؤلّفات الجاحظ ومنطلقاتها هو الانتماء العقديّ «فقدْ كان منخرطاً في نحلة(المعتزلة)، التي تعتبر اللّغة والبلاغة هما سلاح المتناظرين والمجادلين الذين يتوخَّون نصرة مذهبهم والإقناع به»[٢٢]، فكان لهذا البعد المذهبيّ الدّور الكبير في ربطه للبلاغة بالإقناع في تضاعيف كتابه البيان والتبيين.

ونحن هنا نحاول بيان بلاغة الإقناع في رسالتيه عن أحقِّيّة الإمام عليٍّ عليه السلام

في الخلافة وأفضليّته، وهاتان الرّسالتان نقلهما عليّ بن عيسى الأربليّ في كتابه (كشف الغمّة في معرفة الأئمّة)؛ إذْ أثبتهما اختصاراً، ونقل عنه الرِّسالتين السَّيّد هاشم البحرانيّ في كتابه (غاية المرام وحجّة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاصِّ والعامِّ).

ولابدّ من أنْ نستشهد في هذا المقام بقول عليّ بن عيسى الأربليّ في كشف الغمّة عقيب ذكره هاتين الرِّسالتين، قال: «إنّ أبا عثمان من رجال الإسلام وأفراد الزّمان في الفضل والعلم وصحّة الذِّهن وحسن الفهم والاطّلاع على حقائق العلوم، والمعرفة بكلّ جليل ودقيق، ولم يكن شيعيّاً، فيُتَّهم، وكان عثمانيّاً مروانيّاً، وله في ذلك كتب مصنّفة، وقدْ شهد في هاتين الرِّسالتين من فضل بني هاشم وتقديمهم وفضل عليٍّ عليه السلام وتقديمه بما لا شكَّ فيه ولا شبهة، وهو أشهر من فلق الصّباح، وهذا إنْ كان مذهبه، فذاك، وليس بمذهبه، وإلّا فقدْ أنطقه الله تعالى بالحقِّ، وأجرى لسانه بالصِّدق، وقال ما يكون حجّة عليه في الدّنيا والآخرة، ونطق بما لو اعتقد غيره لكان خصمه في محشره، فإنّ الله عند لسان كلِّ قائل، فلينظر قائل ما يقول، وأصعب الأمور وأشقّها أنْ يذكر الإنسان شيئاً يستحقُّ به الجنّة، ثمَّ يكون ذلك موجباً لدخوله النّار، نعوذ بالله من ذلك»[٢٣].

وبقول السَّيّد هاشم البحرانيّ بعد أنْ ختم كتابه (غاية المرام وحجّة الخصام): «وأختم كتابي هذا برسالَتَي أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، وهو من أعيان علماء المخالفين من العامّة ممّا ذكر فيهما واستدلّ على أنّ أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالبٍ هو الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله دون أبي بكر بأدلّة قطعيّة وبراهين بيِّنة، وهو لا يُتَّهم في ذلك، بل هو حجَّة عليه وعلى جميع الفرق القائلين بإمامة أبي

بكر، والجاحظ هذا من المتعصِّبين المنحرفين عن أمير المؤمنين عليه السلام، بل هو عثمانيٌّ مروانيٌّ، وفي الرِّسالتين -أيضاً- تفضيل بني هاشم على غيرهم، وهاتان الرِّسالتان أوردهما الشّيخ الفاضل الثّقة الورع الشّيخ عليّ بن عيسى تغمَّده الله تعالى برحمته في أوّل كتاب كشف الغمّة»[٢٤].

ومن هنا تبرز أهمّيّة هاتين الرِّسالتين، التي سنحاول في هذه الوريقات البحثيّة بيان بلاغة الإقناع فيهما من خلال الأدلّة والبراهين غير الصّناعيّة اختياراً قصديًّاً.

الإطار التطبيقيّ

يقول أرسطو عن الأدلّة والبراهين:« وأمّا الأدلّة والبراهين، فبعضها مستقلٌّ عن الفنِّ ليس مِن صُنعنا، وبعضها الآخر تابعٌ له، أي: مِن عملنا واختيارنا»[٢٥]، فأرسطو قسّم البراهين والأدلّة على قسمين: أدلّة غير صناعيّة (ليستْ من صنعنا)، ويُطلق عليها -أيضاً- التصديقات غير الصّناعيّة، أو الجاهزة، أو الأدلّة الخارجة عن الفنّ، وأدلّة صناعيّة (أي: من عملنا واختيارنا)، وتُسمَّى -أيضاً- التصديقات الصّناعيّة، أو غير الجاهزة، أو الأدلّة داخل الفنِّ[٢٦].

وبعد ذلك فصّل أرسطو كلَّ قسم من القسمين، فمِن الأدلّة غير الصّناعيّة: الاعترافات تحت التعذيب، والشّهود، والقوانين، وأقوال الحكماء،...، وهي أدلّة وبراهين لا يستطيع الخطيب التصرّف فيها، ويقتصر عمله على حسن توظيفها بترتيبها وإبرازها وتنظيمها[٢٧].

أمّا الأدلّة الصّناعيّة، فتنقسم بدورها على أدلّة ذاتيّة نفسيّة ترتبط بالمقام، حدّدها في (الإيتوس)، أي: أخلاق الخطيب وشخصيّته، و(الباتوس)، أي:

أحوال المستمعين ومشاعرهم، وأدلّة موضوعيّة تتعلّق بالعبارة نفسها، وتتفرَّع بدورها إلى القياس المضمر، ويكون: إمّا استدلاليّاً أو تفنيديّاً، والمثل، ويكون: إمّا تاريخيّاً ميتولوجيّاً، أو مبتدعاً خرافيّاً[٢٨].

الأدلة والبراهين غير الصّناعيّة

يبرز هذا النّوع من الحجج في الرّسائل الأدبيّة من خلال توظيف الشّاهد الدّينيّ أو الأدبيّ، وهو «مقطع مِن نصٍّ يُؤخذ من سياقه الأصليّ، ويُدرج في سياق آخر بطريقةٍ ما، لتحقيق وظيفةٍ ما، فهو نقطة تقاطع بين نصَّين مختلفين...، كإدراج الأمثال في الخطب والرّسائل، أو اقتباس القرآن الكريم...»[٢٩].

ويُعدّ الشّاهد تلخيصاً لفكرةٍ تمَّ طرحها أو تكراراً لها، إلّا أنّ هذا التكرار مفيد، «فلإعادة نصٍّ قديم في سياق جديد أثر في توجيه القارئ العارف بالسّياق الذي أخذ منه الشّاهد، فهي تنشِّط ذاكرته وتحيله على نصوص أخرى تختفي وراء الشّاهد»[٣٠].

إنّ الآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة والأبيات الشّعريّة والأمثال والحكم...تمتلك سلطة مرجعيّة تجعلها قادرة على إقناع المتلقّي وإفحام الخصم، فهي «حجج جاهزة تكتسب قوَّتها من مصدرها، ومِن مصادقة النّاس عليها وتواترها»[٣١] إلّا أنّ نفوذ هذه (الشّواهد/ الحجج) يتفاوت، فالقرآن الكريم بوصفه كلام الله سبحانه وتعالى لا تضاهيه حجّة في الثقافة العربيّة الإسلاميّة، يليه الحديث الشّريف، فهو كلام مَن لا ينطق عن الهوى ﷺ، ثمّ أقوال الأئمّة عليهم السلام وكلامهم امتداد طبيعيّ لكلامه ﷺ، فهم السّلسلة المقدّسة المبتدئة بالإمام

عليٍّ عليه السلام، والمنتهية بالقائم المهديّ عجل الله فرجه، ثمّ الشّعر ديوان العرب وجامع أخبارها وسيرها، وأساس الحضارة العربيّة؛ إذْ «يكاد يجمع المهتمّون بها على أنّ شأن الشِّعر فيها، لا يوجد في حضارة سواها»[٣٢].

ولعلّ خير دليل على مكانة الشّعر وأهمّيّته في الثّقافة العربيّة الإسلاميّة، أنّه كان ملجأ المفسِّرين لفهم كتاب الله عزّ وجلّ وكشف مقاصده، ما أكسبه «حجيّة قويّة وفعّالة في تحقيق الترجيح، وفي قطع الشّغب، وفي إيقاع التصديق»[٣٣]، ثمّ يأتي دور الأمثال والحكم بعد الشّعر.

وإذا أردنا توظيف مفاهيم السّلَّم الحجاجيّ عند (ديكرو) لإدراج هذه (الشّواهد/ الحجج)، فستظهر لنا الترسيمة الآتية:

(ن) نتيجة

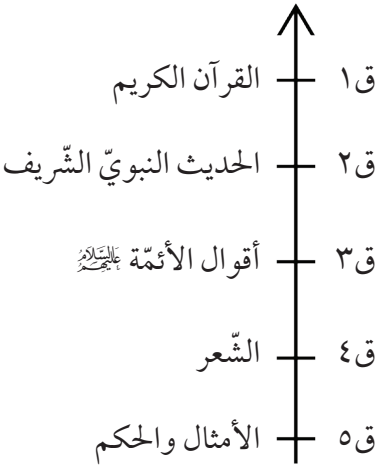

١/ القرآن الكريم

وظّف الجاحظ في رسالتيه الشّاهد القرآنيّ بشكل بارز، ما يدعم القول الإبلاغيّ ويرسِّخ الإقناع ويؤثّر في المتلقّي في مقام الحجّة والبرهان التي لا يعتريها الشّكّ والبطلان، فالجاحظ يقدِّم لنا مجموعة من الآيات القرآنيّة ليناقش فيها قضيّة وجَدَ النّاس مختلفين فيها «يبرأ بعضهم من بعض، ويجمعهم في حال اختلافهم فريقان: أحدهما قالوا: إنّ النّبيّ ﷺ مات ولم يستخلف أحداً، وجعل ذلك إلى المسلمين يختارونه، فاختاروا أبا بكر، والآخرون قالوا: إنّ النّبيّ ﷺ استخلف عليّاً عليه السلام، فجعله إماماً للمسلمين بعده، وادّعى كلّ فريق منهم الحقَّ»(٣٤). وبما عُرف عن الجاحظ من النظر العقليّ والمحاججة المنطقيّة، استوقف الفريقين للبحث، وليعلم المحقّ من المبطل، فكانت الأسئلة من الجاحظ والإجابة منهم، والحجّة والبرهان الشّاهد القرآنيّ هي الفيصل لإماطة اللّثام عن الزّيغ والهوى، والوصول إلى الحقّ واليقين بأحقّيّة الإمام عليٍّ عليه السلام بالإمامة لمّا اجتمعت عليه الأمّة، ولدلالة كتاب الله عزّ وجلّ والسّنّة عليه.

يبدأ الجاحظ سؤاله لهم بقوله:«هل للنّاس مِن والٍ يُقيم أعيادهم ويجبي زكاتهم...ويُقيم حدود الله؟ فقالوا: لا بدَّ من ذلك، فقلنا:هل لأحدٍ أنْ يختار أحداً فيولِّيه من غير نظر في كتاب الله وسنّة نبيِّه، فقالوا: لا يجوز ذلك إلّا بالنظر»(٣٥)، ثمّ يسترسل الجاحظ بالأسئلة ويجيب الفريقان، حتّى يسأل: «هل لله خِيَرَةٌ من خلقه اصطفاهم واختارهم، فقالوا: نعم، فقلنا:ما برهانكم، قالوا:»(٣٦)، قوله تعالى:﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾(٣٧)، ثمّ «سألهم عن الخيرة، فقالوا: هم المتّقون، قلنا:ما برهانكم؟قالوا»(٣٨)، قوله تعالى:﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ

﴿عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٣٩]، ثمّ يقول: «فقلنا:هل لله خيرة من المتقين؟ قالوا: نعم، المجاهدون بدليل»[٤٠]، قوله تعالى: ﴿فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾[٤١]، وبعد أنْ يستوفي الجاحظ الأسئلة والإجابة فيما يتعلّق بموضوعة(الخيرة) يخلص إلى نتيجة«أنّ خيرة الخيرة أكثرهم في الجهاد وأبذلهم لنفسه في طاعة الله وأقتلهم لعدوّه»[٤٢]، ثمّ يُفحم الفريقين بالسّؤال العقديّ: «فسألناهم عن هذين الرَّجلين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأبي بكر، أيّهما كان أكثر عناء في الحرب وأحسن بلاء في سبيل الله»[٤٣]، فـ «أجمع الفريقان على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه كان أكثر طعناً وضرباً وأشدّ قتالاً وأذبّ في دين الله ورسوله»[٤٤]، وثبت بما ذكره من إجماع الفريقين ودلالة الكتاب والسّنّة أنّ الإمام عليّاً عليه السلام أفضل وأحقّ بالخلافة.

وقد وردتْ شواهد قرآنيّة كثيرة في الرِّسالتين لإقامة الحجّة والبرهان عن أحقّيّة الإمام عليٍّ عليه السلام بالخلافة وأفضليّته[٤٥].

٢/ الحديث النبويّ الشّريف

وظّف الجاحظ الحديث النبويّ الشّريف في إثبات الحجّة وإقامة الدّليل والبرهان حتّى يصل إلى الحقيقة/ أحقية الإمام عليّ عليه السلام بالخلافة وأفضليَّته، فقدْ «أجمعت الأمّة على أنّ العلماء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الذين يؤخذ عنهم العلم كانوا أربعة: عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وعبد الله بن العبّاس رضي الله عنه، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، رضيَ اللهُ عنهم، وقالت طائفة: عمر بن الخطّاب، فسألنا الأمّة: مَن أولى بالتقديم إذا حضرت الصّلاة، فقالوا:[٤٦] إنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال:«يؤمّ

بالقوم أقرأهم»[٤٧]، ثمّ أجمعوا على أنّ الأربعة كانوا أقرأ لكتاب الله تعالى من عمر، فسقط عمر[٤٨]، ثمّ سألنا الأمّة: أيّ هؤلاء الأربعة أقرأ لكتاب الله وأفقه لدينه؟ فاختلفوا، فوقفناهم حتّى نعلم، ثمّ سألناهم: أيُّهم أولى بالإمامة، فأجمعوا على أنّ النّبيّ ﷺ[٤٩]، قال: إنّ«**الأئمّة مِن قريش**»[٥٠]، فسقط ابن مسعود وزيد بن ثابت، وبقي عليّ بن أبي طالب وابن عبّاس، فسألنا: أيُّهما أولى بالإمامة؟ فقالوا: إنّ النّبيّ ﷺ، قال: إذا كانا عالمين فقيهين قرشيّين، فأكبرهما سنّاً وأقدمهما هجرة، فسقط عبد الله بن عبّاس رضي الله عنه، وبقي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه[٥١]، فيكون أحقّ بالإمامة؛ لما اجتمعتْ عليه الأمّة، ولدلالة الكتاب والسُّنّة عليه»[٥٢].

ويُثبت الجاحظ في موضعٍ آخر حديث الثّقلين، فيقول:«وقال ﷺ فيما أبان به أهل بيته: «**إنّي تارك فيكم الخليفتين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السّماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، نبّأني اللّطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض**»[٥٣]، ثمّ يقول: «ولو كانوا كغيرهم لما قال عمر حين طلب مصاهرة عليٍّ: إنّي سمعتُ رسول الله عليه السلام، يقول: «**كلُّ سببٍ ونسبٍ منقطعٌ يوم القيامة إلّا سببي ونسبي**»[٥٤].

ثمّ ينتقل الجاحظ إلى الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، فيقول فيهما في معرض الدّليل والبرهان العقليّ والشّاهد الحديثيّ:«وأمّا الحسن والحسين عليهما السلام، فمَثَلُهما مَثَلُ الشّمس والقمر، فمَن أعطى ما في الشّمس والقمر من المنافع العامّة والنِّعم الشّاملة التّامّة، ولو لم يكونا ابني عليٍّ عليه السلام من فاطمة عليها السلام، ورفعتَ مِن وهمكَ كلَّ رواية، وكلَّ سببٍ توجبه القرابة، لكنتَ لا تقرنُ بهما أحداً من أجلّة أولاد

المهاجرين والصّحابة، إلّا أراك فيهما الإنصاف من تصديق قول النّبيِّ صلى الله عليه وآله: «**إنّهما سيِّدا شباب أهل الجنّة**»(٥٥)، ثمّ يخلص إلى النتيجة/ الحقيقة: «وجميع مَن هما سادته سادة، والجنّة لا تُدخل إلّا بالصِّدق والصّبر، وإلّا بالحِلم والعِلم، وإلّا بالطَّهارة والزُّهد، وإلّا بالعبادة والطّاعة الكثيرة والأعمال الشّريفة والاجتهاد والأثرة والإخلاص في النِّيّة، فدلَّ على أنَّ حظَّهما في الأعمال المرضيّة والمذاهب الزَّكيّة فوق كلِّ حظٍّ»(٥٦).

وقدْ وردت شواهد حديثيّة في الرِّسالتين لإقامة الحجّة والبرهان عن أحقِّيّة الإمام عليٍّ عليه السلام بالخلافة وأفضليَّته وفي ولده عليهم السلام(٥٧).

٣/ أقوال الأئمّة عليهم السلام

وترد أقوال الأئمّة في رسالتي الجاحظ بوصفها حججاً منطقيّة دامغة من أجل الوصول إلى الحقيقة/ النتيجة، فأهل البيت عليهم السلام لا يُقاس بهم أحد، يقول الجاحظ:«كيف يُقاس بقومٍ منهم رسول الله صلى الله عليه وآله، والأطيبان: عليّ وفاطمة، والسِّبطان: الحسن والحسين، والشَّهيدان: أسد الله حمزة، وذو الجناحين جعفر، وسيّد الوادي: عبد المطَّلب، وساقي الحجيج: العبّاس، وحليم البطحاء والنّجدة والخير فيهم، والأنصار أنصارهم، والمهاجر مَن هاجر إليهم ومعهم، والصِّدِّيق مَن صدَّقهم، والفاروق مَن فرَّق بين الحقِّ والباطل فيهم، والحواريّ حواريهم، وذو الشّهادتين؛ لأنّه شهدَ لهم، ولا خير إلّا فيهم ولهم ومنهم ومعهم»(٥٨). ومصداق هذه النتيجة/ الحقيقة يجدها في قول الإمام عليٍّ عليه السلام: «**نحنُ أهل بيت لا يُقاس بنا أحدٌ**»(٥٩).

ومنه قول الجاحظ في معرض حديثه عن منازعة اليهود للنّصارى في المسيح فلجّ بهما القول حتّى« قالت اليهود: إنّه ابن يوسف النّجّار، وإنّه لغير رشده، وإنّه صاحب نيرنج وخدع ومخاريق، وناصب شَرَك، وصيّاد سمك، وصاحب شصٍّ وشَبَك، فما يبلغ مِن عقل صيّاد وربيب نجّار؟ وزعمت النّصارى أنّه ربُّ العالمينَ، وخالق السّماوات والأرضينَ، وإله الأوّلين والآخرينَ، فلو وجدت اليهود أسوأ من ذلك القول لقالته فيه، ولو وجدت النّصارى أرفع من ذلك القول لقالته فيه، وعلى هذا قال عليٌّ عليه السلام: «يهلك فيّ رجلان: محبٌّ مفرط، ومبغضٌ مفرِّط»(٦٠).

ومن حججه بأقوال الأئمّة، قول الإمام عليٍّ عليه السلام حين سُئل عن بني هاشم وبني أميّة: «نحنُ أنجد وأمجد وأجود، وهم أنكر وأمكر وأغدر»(٦١)، وقوله عليه السلام أيضاً: «نحن أطعم للطّعام، وأضرب للهام»(٦٢)، ليصل بعدها بنظره العقليّ إلى النتيجة/ الحقيقة بعد مناقشة مستفيضة للحجج والبراهين، فيقول: «وقدْ عرفت جفاء المكّيّين، وطيش المدنيّين، وأعراق بني هاشم مكّيّة، ومناسبهم مدنيّة، ثمّ ليس في الأرض أظهر أخلاقاً، ولا أطهر بشراً، ولا أدوم دماثةً، ولا ألين عريكةً، ولا أطيب عشيرةً ولا أبعد، مَن كبُر منهم. والحدّة لا يكاد يعدمها الحجازيّ والتِّهاميّ، إلّا أنّ حليمهم لا يُشقُّ غباره، وذلك في الخاصِّ، والجمهور على خلاف ذلك، حتّى تصير إلى بني هاشم، فالحِلم في جمهورهم، وذلك يوجد في النّاس كافّة، ولكنّا نضمن أنّهم أتمُّ النّاس فضلاً، وأقلُّهم نقصاً، وحسن الخلق في البخيل أسرع، وفي الذَّليل أوجد، وفيهم مع فرط جودهم وظهور عزِّهم من البِشر الحسن والاحتمال وكرم التفاضل، ما لا يوجد مع البخيل الموسِر والذَّليل

المكثِر، اللَّذين يجعلان البِشر وقاية دون المال، وليس في الأرض خصلة تدعو إلى الطغيان والتهاون بالأمور، وتُفسد العقول، وتُورث السُّكر، إلّا وهي تعتريهم وتعرض لهم دون غيرهم؛ إذْ قدْ جمعوا مع الشَّرف العالي والمغرس الكريم والعزّ والمنعة، مع إبقاء البأس عليهم، والهيئة لهم، وهم في كلِّ أوقاتهم وجميع أعصارهم فوق مَن هم على مِثل ميلادهم في الهيئة الحسنة والمروءة الظاهرة والأخلاق المرضيّة، وقدْ عرف الحدَث العزيز من فتيانهم وذوي الغرامة من شبَّانهم أنّه إنْ افترى لم يُفترَ عليه، وإنْ ضرب لم يُضرب، ثمّ لا تجده إلّا قويَّ القلب، بعيد الهمّة، كثير المعرفة، مع خفَّة ذات اليد، وتعذّر الأمور، ثمّ لا تجد عند أفسدهم شيئاً من المنكر إلّا رأيت في غيره من النّاس أكثر منه من مشايخ القبائل وجمهور العشائر، وإذا كان فاضلهم فوق كلِّ فاضل، وناقصهم أنقص نقصاناً من كلِّ ناقص، فأيُّ دليلٍ أدلُّ، وأيُّ برهانٍ أوضح ممّا قلناه؟»[٦٣].

٤/ الشِّعر

وظَّف الجاحظ الشّاهد الشِّعريّ في محاججته لما يمتلكه الشِّعر من سلطة مرجعيّة، «فالشِّعر يُستدعى كحجّة مرجِّحة، وكشاهد عدْل، خلال المنافرة والمخاصمة»[٦٤]، ويُلجأ إليه في بيان الحجّة بأنّ الأعمال«التي يُستحقّ بها الخير أربعة: التقدّم في الإسلام، والذَّبُّ عن رسول الله وعن الدِّين، والفِقه في الحلال والحرام، والزُّهد في الدّنيا، وهي مجتمعة في عليِّ بن أبي طالب عليه السلام، متفرِّقة في الصّحابة، وفي عليٍّ عليه السلام يقول أسد بن رقيم يحرِّض عليه قريشاً، وأنّه قدْ بلغ منه على حداثة سِنِّه ما لم يبلغه ذوو الأسنان:

في كلِّ مجمعِ غايةٍ أخزاكُمُ جذْعٌ أبرّ على المذاكي الـقُرَّحِ
لله دَرُّكُـمُ ألـمّـا تُـنـكـرُوا قدْ يُنكرُ الضَّيمَ الكريمُ ويستحِي
هذا ابنُ فاطمةَ الذي أفناكُمُ ذبحاً ويمـشي آمـناً لم يُـجرحِ
أينَ الكهولُ، وأينَ كلُّ دعامةٍ للمعضلاتِ، وأينَ زينُ الأبطحِ
أفنـاهُمُ ضرباً بكـلِّ مـهنَّـدٍ صَلْتٍ، وحدُّ غـزاره لم يصفحِ»[٦٥].

وأمّا الجود، «فليس على ظهر الأرض جواد جاهليٌّ ولا إسلاميٌّ، ولا عربيٌّ ولا عجميٌّ، إلّا وجُوده يكاد يصير بخلاً إذا ذُكِر جود عليِّ بن أبي طالب عليه السلام، وعبد الله بن جعفر، وعبد الله بن العبّاس، المذكورون بالجود منهم، لكنّا اقتصرنا، ثمَّ ليس في الأرض قوم أنطق خطيباً ولا أكثر بليغاً مِن غير تكلّف ولا تكسُّب من بني هاشم، وقال أبو سفيان بن الحرث:

لقدْ علمتْ قريشٌ غيرَ فخرٍ بأنّا نحن أجودُهُم حصانا
وأكثرُهُم دروعاً سابغاتٍ وأمضاهُم إذا طعنوا سنانا
وأدفعُهُم عن الضّرّاء فيهم وأثبتُهُم إذا نطقُوا جنانا»[٦٦].

وأمّا النِّجدة، «فقدْ علم أصحاب الأخبار وحمّالوا الآثار أنّهم لم يسمعوا بمِثل نِجدة عليِّ بن أبي طالب عليه السلام وحمزة رضي الله عنه، ولا بصبرِ جعفرٍ الطيَّار رضوان الله عليه، وليس في الأرض قوم أثبت جناناً، ولا أكثر مقتولاً تحت ظلال السّيوف، ولا أجدر أنْ يقاتلوا، وقدْ فرّت الأخيار وذهبت الصّنائع، وخام ذو البصيرة، وجاد أهل النِّجدة، من رجالات بني هشام، وهم كما قيل:

وخامَ الكمِيُّ وطاحَ اللّوى ولا تأكلُ الحربُ إلّا سمينا»[٦٧].

٥/ الحكم والأمثال

للأمثال والحكم دور بارز في التوظيف الإقناعيّ الذي استعمله الجاحظ في رسالتيه عن أحقِّيّة الإمام عليٍّ عليه السلام بالخلافة وأفضليّته، فمِن الأمثال قوله: «شنشنة أعرفها من أخزم»[٦٨]، في معرض حديثه عن الأوصاف التي قالها عمر بن الخطّاب لعبد الله بن عبّاس رضي الله عنه. ومثله: «غُص يا غوَّاص»[٦٩]. وقوله عليه السلام في حديثه عن خصائص الإمامة:«قَلب عقولٌ، ولسانٌ قؤولٌ»[٧٠].

أو الأوصاف التي قيلت في عبد الله بن عبّاس رضي الله عنه:«الحبر والبحر»[٧١]، وهي حجج تدلُّ على الإمكان المعرفيّ لترجمان القرآن وحبر الأمّة ابن عبّاس رضي الله عنه.

أو قول نُسِب إلى شخصيّات معروفة تاريخيّاً، كدغفل بن حنظلة النّسّابة، أحد بني شيبان، في قوله: «أجواد أمجاد، وألسنة حداد»[٧٢]، عن أحقِّيّة الإمام عليٍّ عليه السلام بالخلافة، وأفضليّته، وفي ولده عليهم السلام، وكذلك في بني هاشم.

الخاتمة

بعد حمد الله وتوفيقه، آن لنا أنْ نختم بحثنا بعد أنْ نظرنا في بلاغة الإقناع بوصفه منهجاً لتحليل الخطاب عَبر بنيته وأساليبه ووسائله اللّغويّة، وأنْ نشرع ببيان نتائج بحثنا، وهي كالآتي:

- دارتْ معاني الحجاج في معاجم اللُّغة حول معاني التنازع والتخاصم والتغالب بواسطة الأدلّة والبراهين والحجج بين طرفين، وهو بذلك يكون مرادفاً للجدل الذي يقابل الحجّة بالحجّة.

- وظّفتْ معاني الاحتجاج الاصطلاحيّة دلالاتٍ تواصليّة عَبر وسائل وأدوات منطقيّة وبلاغيّة كفيلة بإحداث التّأثير والتوجيه والإقناع من خلال التفنيد أو الحثِّ أو الدَّعم، من دون تعسُّفٍ أو إكراهٍ.

- عُدّ الجاحظ من المؤسِّسين لبلاغة تداوليّة خطابيّة عربيّة تنبثق من رحم بلاغة العبارة، لكنّ جهده ولأسباب ثقافيّة ودينيّة وسياسيّة أخذ وجهة محدَّدة ومميَّزة من حيث التوازن بين المسلكين: الشِّعريّ، والخطابيّ.

- حاول البحث استكناه بلاغة الإقناع من خلال الأدلّة والبراهين غير الصِّناعيّة في رسالتين للجاحظ لم تردا في رسائله التي حقّقها عبد السّلام محمّد هارون، أو في كتبه الأُخَر، كالبيان والتبيين، والحيوان، وغيرهما.

- سعى البحث إلى توظيف مجموعة من الوسائل الحجاجيّة من خلال إبراز طبيعة الحجج والبراهين غير الصِّناعيّة وقدرتها الإقناعيّة في الرِّسالتين، ممثَّلة بالقرآن الكريم، والحديث النّبويّ الشّريف، وأقوال الأئمّة عليهم السلام، والشِّعر، والحِكم والأمثال.

ملحق

ارتأينا أنْ ندرج في آخر الدّراسة نصَّ رسالتي الجاحظ؛ لتكونا أنفع للدّارسين.

رسالتا الجاحظ منقولة من كتاب (كشف الغمّة في معرفة الأئمّة): ١/ ٢٩-٤١، قال الإربليُّ:

«قبل الشّروع في ذكر عليٍّ وأولاده عليهم السلام نذكر شيئاً ممّا يتعلّق بفضل بني هاشم وشرفهم، وما لهم من المزايا التي فضلوا بها النّاس.

ومن ذلك رسالة وقعتْ إليَّ من كلام أبي عثمان، عمرو بن بحر، الجاحظ، أذكرها مختصِراً لها، قال: إعلم حفظك الله، أنّ أصول الخصومات معروفة بيِّنة، وأبوابها مشهورة، كالخصومة بين الشعوبيّة والعرب، والكوفيّ والبصريّ، والعدنانيّ والقحطانيّ، فهذه الأبواب الثلاثة أنقض للعقول السّليمة، وأفسد للأخلاق الحسنة، من المنازعة في القدر والتشبيه، وفي الوعد و الوعيد، وفي الأسماء والأحكام، وفي الآثار وتصحيح الأخبار، وأنقض من هذه للعقول تمييز الرّجال، وترتيب الطبقات، وذِكر تقديم عليٍّ وأبي بكر، فأولى الأشياء بك القصد وترك الهوى، فإنّ اليهود نازعت النّصارى في المسيح، فلجَّ بهما القول، حتّى قالت اليهود: إنّه ابن يوسف النّجّار، وإنّه لغير رُشده، وإنّه صاحبُ نيرنج وخدع ومخاريق، وناصِب شَرَك، وصيَّاد سمك، وصاحب شصٍّ وشبك، فما

يبلغ من عقل صيَّاد وربيب نجّار. وزعمت النّصارى أنّه ربُّ العالمينَ، وخالق السّماوات والأرضينَ، وإله الأوَّلينَ والآخرينَ. فلو وجدت اليهود أسوأ من ذلك القول لقالته فيه، ولو وجدت النّصارى أرفع من ذلك القول لقالته فيه، وعلى هذا قال عليٌّ عليه السلام: يهلك فيَّ رجلان: محبٌّ مُفرط، ومبغضٌ مُفرِّط، والرّأي كلّ الرّأي أنْ لا يدعوك حبُّ الصَّحابة إلى بخس عترة الرّسول صلى الله عليه وآله حقوقهم وحظوظهم، فإنَّ عمر لما كتبوا الدواوين وقدَّموا ذكره أنكر ذلك، وقال: ابدؤوا بطرفي رسول الله صلى الله عليه وآله، وضعُوا آل الخطّاب حيث وضعهم الله، قالوا: فأنت أمير المؤمنين، فأبى إلّا تقديم بنى هاشم وتأخّر نفسه، فلم يُنكر عليه منكر، وصوَّبوا رأيه، وعدُّوا ذلك من مناقبه.

واعلم، أنّ الله لو أراد أنْ يسوِّي بين بني هاشم وبين النّاس لما أبانهم بسهم ذوي القربى، ولما قال: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾، وإذا كان لقومه في ذلك ما ليس لغيرهم، فكلُّ مَن كان أقرب كان أرفع، ولو سوَّاهم بالنّاس لما حرَّم عليهم الصَّدقة، وما هذا التحريم إلّا لإكرامهم على الله؛ ولذلك قال للعبّاس حيث طلب ولاية الصَّدقات: لا أوَلِّيك غسالات خطايا النّاس وأوزارهم، بل أوَلِّيك سقاية الحاجِّ، والإنفاق على زوَّار الله، ولهذا كان رباه أوّل ربا وُضع، ودم ربيعة ابن حارث أوّل دمٍ أُهدر؛ لأنّهما القدوة في النّفس والمال؛ ولهذا قال عليٌّ عليه السلام على منبر الجماعة: نحن أهل بيت لا يُقاس بنا أحد، وصدق صلوات الله عليه، كيف يُقاس بقومٍ منهم رسول الله صلى الله عليه وآله، والأطيبان: عليّ وفاطمة، والسِّبطان: الحسن والحسين، والشّهيدان: أسد الله حمزة، وذو الجناحين جعفر، وسيّد الوادي: عبد المطّلب، وساقي

الحجيج: العبّاس، وحليم البطحاء والنِّجدة والخير فيهم، والأنصار أنصارهم والمهاجر مَن هاجر إليهم ومعهم، والصِّدِّيق مَن صدَّقهم، والفاروق مَن فرَّق بين الحقِّ والباطل فيهم، والحواري حواريهم، وذو الشّهادتين لأنّه شهد لهم، ولا خير إلّا فيهم ولهم ومنهم ومعهم.

وقال صلى الله عليه وآله فيما أبان به أهل بيته: إنِّي تاركٌ فيكم الخليفتين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله، حبل ممدود من السّماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي. نبَّأني اللَّطيف الخبير أنَّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض، ولو كانوا كغيرهم لما قال عمر حين طلب مصاهرة عليٍّ: إنِّي سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله، يقول: كلُّ سببٍ ونسبٍ منقطعٌ يومَ القيامة، إلّا سببي ونسبي.

واعلم أنَّ الرَّجل قدْ يُنازع في تفضيل ماء دجلة على ماء الفرات، فإنْ لم يتحفَّظ وجد في قلبه على شارب ماء دجلة رقَّة لم يكن يجدها، ووجد في قلبه غلظة على شارب ماء الفرات لم يكن يجدها، فالحمد لله الذي جعلنا لا نفرِّق بين أبناء نبيِّنا ورسلنا، لنحكم لجميع المرسلين بالتصديق، ولجميع السّلف بالولاية، ونخصُّ بني هاشم بالمحبَّة، ونعطي كلَّ امرئ قسطه من المنزلة.

فأمّا عليُّ بن أبي طالب عليه السلام، فلو أفردنا لأيَّامه الشَّريفة، ومقاماته الكريمة، ومناقبه السّنيّة، كلامًا، لأفنينا في ذلك الطوامير الطّوال. العِرق صحيح، والمنشأ كريم، والشّأن عظيم، والعمل جسيم، والعلم كثير، والبيان عجيب، واللِّسان خطيب، والصَّدر رحيب، فأخلاقه وَفق أعراقِه، وحديثه يشهد لقديمه.

وليس التدبير في وصف مثله إلّا ذِكر جمل قدره، واستقصاء جميع حقِّه، فإذا كان كتابنا لا يحتمل تفسير جميع أمره، ففي هذه الجملة بلاغ لمن أراد معرفة

فضله. وأمّا الحسن والحسين عليهما السلام، فمَثَلُهما مَثَلُ الشَّمس والقمر، فمَن أعطى ما في الشَّمس والقمر من المنافعِ العامّة والنِّعم الشَّاملة التّامّة، ولو لم يكونا ابني عليٍّ من فاطمة عليها السلام، ورفعتَ مِن وهمكَ كلَّ رواية، وكلَّ سببٍ توجبه القرابة، لكنتَ لا تقرن بهما أحداً من أجلَّة أولاد المهاجرين والصَّحابة، إلّا أراك فيهما الإنصاف من تصديق قول النّبيِّ صلى الله عليه وآله: إنّهما سيِّداً شباب أهل الجنّة، وجميع من هما سادته سادة، والجنّة لا تُدخل إلّا بالصِّدق والصَّبر، وإلّا بالحِلم والعِلم، وإلّا بالطَّهارة والزُّهد، وإلّا بالعبادة والطّاعة الكثيرة، والأعمال الشّريفة، والاجتهاد والإثرة، والإخلاص في النِّيَّة، فدلَّ على أنَّ حظَّهما في الأعمال المرضيّة والمذاهب الزَّكيّة فوق كلِّ حظٍّ.

وأمّا محمّد بن الحنفيّة، فقدْ أقرَّ الصّادر والوارد، والحاضر والبادي، أنّه كان واحد دهره، ورجل عصره، وكان أتمَّ النّاس تماماً وكمالاً.

وأمّا عليُّ بن الحسين عليه السلام، فالنّاس على اختلاف مذاهبهم مجمعون عليه، لا يمتري أحدٌ في تدبيره، ولا يشكُّ أحدٌ في تقديمه، وكان أهل الحجاز يقولون: لم نرَ ثلاثة في دهر يرجعون إلى أب قريبٍ، كلُّهم يُسمَّى عليّاً، وكلُّهم يصلح للخلافة لتكامل خصال الخير فيهم، يعنون: عليَّ بن الحسين بن عليٍّ عليهما السلام، وعليَّ ابن عبد الله بن جعفر، وعليَّ بن عبد الله بن العبّاس، رضي اللهُ عنهم، ولو عزونا لكتابنا هذا ترتيبهم لذكرنا رجال أولاد عليٍّ لصُلبه، وولد الحسين، وعليّ بن الحسين، ومحمّد بن عبد الله بن جعفر، ومحمّد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس، إلّا أنّا ذكرنا جملة من القول فيهم، فاقتصرنا من الكثير على القليل.

فأمَّا النِّجدة، فقدْ علم أصحاب الأخبار، وحمَّالوا الآثار، أنّهم لم يسمعوا

بمِثل نِجدة عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام وحمزة رضي الله عنه، ولا بصبر جعفرٍ الطيَّار رضوان الله عليه، وليس في الأرض قوم أثبت جناناً، ولا أكثر مقتولاً تحت ظلال السِّيوف، ولا أجدر أنْ يقاتلوا، وقدْ فرَّتِ الأخيار، وذهبتِ الصَّنائع، وخامَ ذو البصيرة، وجادَ أهلُ النِّجدة، مِن رجالاتِ بني هاشمٍ، وهم كما قيل:

وخامَ الكمِيُّ وطاحَ اللّوى ولا تأكلُ الحربُ إلّا سمينا

وكذلك قال دغفل حين وصفهم: أنجاد أمجاد، ذووا ألسنة حداد، وكذلك قال عليٌّ عليه السلام حين سُئل عن بني هاشم وبني أُميّة: نحن أنجد وأمجد وأجود، وهم أنكر وأمكر وأغدر، وقال أيضاً: نحن أطعم للطّعام وأضرب للهام. وقدْ عرفت جفاء المكّيّين وطيش المدنيّين، وأعراق بني هاشم مكّيّة، ومناسبهم مدنيّة، ثمّ ليس في الأرض أحسن أخلاقاً، ولا أطهر بشراً، ولا أدوم دماثةً، ولا ألين عريكةً، ولا أطيب عشيرةً، ولا أبعد من كبر منهم.

والحدّة لا يكاد يعدمها الحجازيُّ والتِّهاميُّ، إلّا أنّ حليمهم لا يُشقُّ غباره، وذلك في الخاصِّ، والجمهور على خلاف ذلك، حتّى تصير إلى بني هاشم، فالحِلم في جمهورهم، وذلك يوجد في النّاس كافّة، ولكنّا نضمن أنّهم أتمُّ النّاس فضلاً، وأقلُّهم نقصاً، وحسن الخلق في البخيل أسرع، وفي الذَّليل أوجد، وفيهم مع فَرط جودهم، وظهور عزِّهم من البشر الحسن والاحتمال وكرم التفاضل، ما لا يوجد مع البخيل الموسِر، والذَّليل المكثِر، اللّذين يجعلان البشر وقاية دون المال، وليس في الأرض خصلة تدعو إلى الطّغيان والتّهاون بالأمور، وتُفسد العقول، وتُورث السُّكر، إلّا وهي تعتريهم، وتعرض لهم دون غيرهم؛ إذ قدْ جمعوا من الشّرف العالي، والمغرس الكريم، والعزّ والمنعة، مع إبقاء النّاس عليهم، والهيبة

لهم، وهم في كلِّ أوقاتهم وجميع أعصارهم فوقَ مَن هم على مثل ميلادهم في الهيئة الحسنة والمروّة الظاهرة، والأخلاق المرضيّة، وقدْ عرفتَ الحدث العزيز من فتيانهم، وذوي الغرامة من شبَّانهم، أنّه إن افترى لم يُفتَر عليه، وإنْ ضرب لم يُضرب، ثمّ لا تجده إلّا قويَّ القلب، بعيد الهمَّة، كثير المعرفة، مع خفَّة ذات اليد، وتعذّر الأمور، ثمّ لا تجدُ عند أفسدهم شيئاً من المنكر، إلّا رأيت في غيره من النّاس أكثر منه من مشايخ القبائل وجمهور العشائر، وإذا كان فاضلهم فوق كلِّ فاضل، وناقصهم أنقص نقصاناً من كلِّ ناقص، فأيّ دليل أدلّ، وأيّ برهان أوضح ممّا قلته، وقدْ علمتَ أنّ الرّجل منهم يُنعت بالتعظيم والرّواية في دخول الجنّة بغير حساب، ويُتأوّل القرآن له، ويُزاد في طمعه بكلِّ حيلة، ويُنقص من خوفه، ويُحتجّ له بأنَّ النّار لا تمسُّه، وأنّه لَيشفع في مثل ربيعة ومضر، وأنت تجد لهم مع ذلك العدد الكثير من الصّوَّام والمصلِّين والتالين، الذين لا يُجاريهم أحد ولا يُقاربهم.

كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب يُصلِّي في كلِّ ليلة ألف ركعة، وكذا عليّ بن الحسين بن عليّ، وعليّ بن عبد الله بن جعفر، وعليّ بن عبد الله ابن العبّاس عليهم السلام، مع الحِلم والعِلم، وكظم الغيظ، والصَّفح الجميل، والاجتهاد المبرَّز، فلو أنَّ خصلة من هذه الخصال، أو داعية من هذه الدواعي، عرضت لغيرهم، لهلك وأهلك. اعلم أنّهم لم يُمتحنوا بهذه المحن، ولم يتحمَّلوا هذه البلوى، إلّا لما قدَّموا من العزائم التامّة، والأدوات الممكنة، ولم يكن الله ليزيدهم في المحنة إلّا وهم يزدادون على شدَّة المحن خبراً، وعلى التكشّف تهذيباً.

وجملة أخرى ممّا لعليٍّ بن أبي طالبٍ عليه السلام خاصّة: الأب أبو طالب، والجدُّ

عبد المطّلب بن هاشم، والأمُّ فاطمة بنت أسد بن هاشم، والزَّوجة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله سيِّدة نساء أهل الجنّة، والولد الحسن والحسين، سيِّدا شباب أهل الجنّة، والأخ جعفر الطيَّار في الجنّة، والعمُّ العبّاس وحمزة سيّد الشُّهداء في الجنّة، والعمَّة صفيَّة بنت عبد المطّلب، وابن العمِّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وأوَّل هاشميٍّ بين هاشميَّين كان في الأرض ولد أبي طالب، والأعمال التي يُستحقُّ بها الخير أربعة: التقدُّم في الإسلام، والذّبُّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن الدِّين، والفِقه في الحلال والحرام، والزُّهد في الدُّنيا، وهي مجتمعة في عليِّ بن أبي طالب، متفرِّقة في الصَّحابة، وفي عليٍّ يقول أسد بن رقيم يحرِّض عليه قريشاً، وأنّه قدْ بلغ منهم على حداثة سنِّه ما لم يبلغه ذووا الأسنان:

في كلِّ مجمعِ غايةٍ أخزاكُمُ ... جذْعٌ أبرّ على المذاكي الـقُرَّحِ
لله دَرُّكُمُ ألمّا تُنكرُوا ... قدْ يُنكرُ الضَّيمَ الكريمُ ويستحِي
هذا ابنُ فاطمةَ الذي أفناكُمُ ... ذبحاً ويمشي آمناً لم يُجرحِ
أينَ الكهولُ، وأينَ كلُّ دعامةٍ ... للمعضلاتِ، وأينَ زينُ الأبطحِ
أفناهُمُ ضرباً بكلِّ مهنَّدٍ ... صَلْتٍ، وحدُّ غزاره لم يصفحِ

وأمّا الجود، فليس على ظهر الأرض جواد جاهليٌّ ولا إسلاميٌّ، ولا عربيٌّ ولا عجميٌّ، إلّا وجُوده يكاد يصير بخلاً إذا ذُكِر جُود عليِّ بن أبي طالبٍ عليه السلام، وعبد الله بن جعفر، وعبد الله بن عبّاس، والمذكورون بالجود منهم كثير، لكنّا اقتصرنا، ثمّ ليس في الأرض قوم أنطق خطيباً، ولا أكثر بليغاً، من غير تكلُّفٍ ولا تكسُّبٍ من بني هاشم، وقال أبو سفيان بن الحرث:

لقدْ علمتْ قريشٌ غيرَ فخرٍ ... بأنّا نحن أجودُهُم حصانا

وأكثرُهُم دُروعاً سابغاتٍ وأمضاهُم إذا طعنُوا سنانا
وأدفعُهُم عن الضَّرَّاء فيهم وأثبتُهُم إذا نطقُوا جنانا

ممّا يضمُّ إلى جملة القول في فضل عليٍّ بن أبي طالبٍ عليه السلام، أنّه أطاع قبلهم ومعهم وبعدهم، وامتُحن بما لم يُمتحن به ذو عزم، وابتُلي بما لم يُبتلَ به ذو صبر.

وأمّا جملة القول في ولد عليٍّ عليه السلام، فإنّ النّاس لا يعظِّمون أحداً من النّاس إلّا بعد أنْ يُصيبوا منهم وينالوا من فضلهم، وإلّا بعد أنْ تظهر قدرتهم، وهم معظَّمون قبل الاختبار، وهم بذلك واثقون، وبه موقنون، فلولا أنّ هناك سرّاً كريماً، وخيماً عجيباً، وفضلاً مبيناً، وعرقاً نامياً، لاكتفوا بذلك التعظيم، ولم يعانوا تلك التكاليف الشِّداد، والمِحَن الغِلَاظ.

وأمّا المنطقُ والخطبُ، فقدْ علمَ النّاسُ كيف كان عليٌّ بن أبي طالب عند التفكير والتحبير، وعند الارتجال والبدأة، وعند الإطناب والإيجاز في وقتيهما، وكيف كان كلامُه قاعداً وقائماً، وفي الجماعات ومنفرداً، مع الخبرة بالأحكام، والعِلم بالحلال والحرام، وكيف كان عبد الله بن العبّاس رضوان الله عليه الذي كان يقال له: الحَبر والبحر، ومثل عمر بن الخطّاب، يقول له: غُص يا غوَّاص، وشنشنة أعرفها من أخزم، قلب عقول ولسان قؤول، ولو لم يكن لجماعتهم إلّا لسان زيد بن عليّ بن الحسين، وعبد الله بن معاوية بن جعفر، لقَرعوا بهما جميع البلغاء، وعلَوا بهما على جميع الخطباء؛ ولذلك قالوا: أجواد أمجاد، وألسنة حِداد، وقدْ ألقيتُ إليك جملة مِن ذِكر آل الرسول، يُستدَلُّ بالقليل منها على الكثير، وبالبعض على الكلِّ، والبُغية في ذكرهم أنّك متى عرفتَ منازلهم، ومنازل طاعاتهم، ومراتب أعمالهم، وأقدار أفعالهم، وشدّة محنتهم، وأضفتَ ذلك إلى

حقِّ القرابة، كان أدنى ما يجبُ علينا وعليك الاحتجاج لهم، وجعلتَ بدلَ التوقُّف في أمرهم الرَّدّ على مَن أضاف إليهم ما لا يليقُ بهم، وقدْ تقدَّم مِن قولنا فيهم متفرِّقاً ومجملاً ما أغنى عن الاستقصاء في هذا الكتاب.

(تمّت الرِّسالة، وهي بخطِّ عبد الله بن الحسن الطبريّ).

ووقع إليَّ رسالة أخرى مِنْ كلامه أيضاً في التفضيل، أُثبتها أيضاً مختصِراً ألفاظَها وترجمتها:

رسالة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في الترجيح والتفضيل، نُسخ من مجموع للأمير أبي محمّد، الحسن بن عيسى المقتدر بالله، قال: هذا كتاب مَن اعتزل الشَّكّ والظَّنَّ والدَّعوى والأهواء، وأخذ باليقين والثِّقة مِن طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، وإجماع الأمَّة بعد نبيِّها ﷺ، ممّا تضمَّنه الكتاب والسُّنّة، وترْك القولِ بالآراء، فإنّها تُخطئ وتُصيب؛ لأنَّ الأُمّة أجمعتْ أنّ النّبيَّ ﷺ شاور أصحابه في الأسرى ببدر، واتّفق رأيُهم على قبول الفداء منهم، فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كانَ لنَبيٍّ أنْ يكونَ لَهُ أَسْرَى﴾ الآية. فقدْ بانَ لكَ أنّ الرّأي يُخطئُ ويُصيبُ، ولا يُعطي اليقين، وإنّما الحجّة لله ولرسوله، وما أجمعتْ عليه الأمّة من كتاب الله وسنّة نبيِّها، ونحن لم نُدرك النّبيَّ ولا أحداً من أصحابه الذين اختلفت الأمّة في أحقِّهم، فنعلمَ أيُّهم أولى، ونكون معهم، كما قال تعالى: ﴿وَكُوْنُوا مَعَ الصَّادِقِيْنَ﴾ ونعلم أيُّهم على الباطل فنجتنبهم، وكما قال تعالى: ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُوْنِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ شَيْئاً﴾، حتّى أدركنا العِلم، فطلبنا معرفة الدِّين وأهله، وأهل الصِّدق والحقّ، فوجدنا النّاس مختلفين، يبرأ بعضهم من بعض، ويجمعهم في حال اختلافهم فريقان: أحدهما قالوا: إنّ النّبيَّ ﷺ مات ولم يستخلف أحداً،

وجعل ذلك إلى المسلمين، يختارونه، فاختاروا أبا بكر.

والآخرون قالوا: إنّ النّبيَّ صلى الله عليه وآله استخلف عليّاً، فجعله إماماً للمسلمين بعده، وادَّعى كلُّ فريق منهم الحقّ، فلمّا رأينا ذلك، وقفنا الفريقين، لنبحث ونعلم المحقّ من المبطل.

فسألناهم جميعاً: هل للنّاس بُدٌّ مِن والٍ يُقيم أعيادهم، ويجبي زكواتهم ويفرِّقها على مستحقِّيها، ويقضي بينهم، ويأخذ لضعيفهم مِن قويِّهم، ويُقيم حدودهم، فقالوا: لابدَّ من ذلك، فقلنا: هل لأحدٍ أنْ يختار أحداً فيولِّيه بغير نظر في كتاب الله وسُنَّة نبيِّه صلى الله عليه وآله؟ فقالوا: لا يجوز ذلك إلّا بالنّظر، فسألناهم جميعاً عن الإسلام الذي أمر الله به، فقالوا: إنّه الشّهادتان، والإقرار بما جاء من عند الله، والصَّلاة والصَّوم والحجّ بشرط الاستطاعة، والعمل بالقرآن، يُحلُّ حلاله ويُحرِّم حرامه، فقبلنا ذلك منهم، ثمَّ سألناهم جميعاً: هل لله خيرة مِن خلقه اصطفاهم واختارهم؟ فقالوا: نعم، فقلنا: ما برهانكم؟ فقالوا: قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾، فسألناهم: مَن الخيرة؟ فقالوا: هم المتَّقون، قلنا: ما برهانكم؟ قالوا: قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾، فقلنا: هل لله خيرة من المتّقين؟ قالوا: نَعَم، المجاهدون بأموالهم، بدليل قوله تعالى: ﴿فَضَّلَ اللهُ المجَاهِدِيْنَ بِأَمْوَالِهِم وَأَنْفُسِهِم عَلَى القَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾، فقلنا: هل لله خيرة من المجاهدين؟ قالوا جميعاً: نعم، السَّابقون من المهاجرين إلى الجهاد، بدليل قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ الآية، فقبلنا ذلك منهم؛ لإجماعهم عليه، وعلمنا أنّ خيرة الله من خلقه المجاهدون السّابقون إلى الجهاد، ثمّ قلنا: هل لله منهم خيرة؟ قالوا: نعم، قلنا: مَن هم؟ قالوا: أكثرهم

عناءً في الجهاد، وطعناً وضرباً وقتلاً في سبيل الله، بدليل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خيراً يَرَهْ﴾، ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِّ﴾، فقبلنا ذلك منهم، وعلمناه، وعرفنا أنّ خيرة الخيرة أكثرهم في الجهاد عناءً، وأبذلهم لنفسه في طاعة الله، وأقتلهم لعدوِّه، فسألناهم عن هذين الرّجلين: عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأبي بكر، أيُّهما أكثر عناءً في الحرب، وأحسن بلاءً في سبيل الله؟ فأجمع الفريقان على أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب أنّه كان أكثر طعناً وضرباً، وأشدّ قتالاً، وأذبَّ عن دين الله ورسوله صلى الله عليه وآله، فثبت بما ذكرناه من إجماع الفريقين ودلالة الكتاب والسُّنّة أنّ عليّاً عليه السلام أفضل، وسألناهم ثانياً عن خيرته من المتّقين، فقالوا: هم الخاشعون، بدليل قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ لِلْمُتَّقِيْنَ غَيْرَ بَعِيْدٍ﴾ إلى قوله: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾، وقال تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِيْنَ الَّذِيْنَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾، ثُمّ سألناهم: مَن الخاشعونَ؟ قالوا: هم العلماء، لقوله تعالى: ﴿إِنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ﴾، ثُمّ سألناهم جميعاً: مَن أعلمُ النّاس؟ قالوا: أعلمهم بالقول، وأهداهم إلى الحقِّ، وأحقُّهم أنْ يكون متبوعاً، ولا يكون تابعاً، بدليل قوله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُم﴾، فَجَعَل الحكومة إلى أهل العدل، فقبلنا ذلك منهم، ثمَّ سألناهم عن أعلم النّاس بالعدل مَن هو؟ قالوا: أدلُّهم عليه، قلنا: فَمَن أدلُّ النّاسِ عليه، قالوا: أهداهم إلى الحقِّ، وأحقّهم أنْ يكونَ متبوعاً ولا يكون تابعاً، بدليل قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إلى الحَقِّ﴾ الآية، فدلَّ كتاب الله وسنَّة نبيِّه صلى الله عليه وآله والإجماع أنَّ أفضل الأمَّة بعد نبيِّها أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب عليه السلام؛ لأنّه إذا كان أكثرهم جهاداً كان أتقاهم، وإذا كان أتقاهم، كان أخشاهم، وإذا كان أخشاهم، كان أعلمهم، وإذا كان أعلمهم، كان أدلّ على

العدل، وإذا كان أدلّ على العدل، كان أهدى الأمّة إلى الحقِّ، وإذا كان أهدى كان أولى أنْ يكون متبوعاً، وأنْ يكون حاكماً، لا تابعاً ولا محكوماً عليه.

وأجمعت الأمّة بعد نبيِّها أنّه خلَّف كتاب الله تعالى ذكره، وأمرهم بالرّجوع إليه إذا نابهم أمر، وإلى سنَّة نبيِّه صلى الله عليه وآله، فيتدبَّرونها، ويستنبطون منهما ما يزول به الاشتباه، فإذا قرأ قارئهم: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾، فيقال له: أثبتها، ثمّ يقرأ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُم﴾، وفي قراءة ابنِ مسعود: ﴿إِنَّ خَيْرَكُم عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُم﴾، ثمّ يقرأ: ﴿وَأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيْدٍ هَذَا مَا تُوْعَدُوْنَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيْظٍ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالغَيْبِ﴾، فدلَّت هذه الآية على أنَّ المتّقينَ هم الخاشعونَ، ثمَّ يقرأ حتّى إذا بلغ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ﴾، فيُقال له: إقرأ حتّى ننظر هل العلماء أفضل مِن غيرهم أم لا؟ حتّى إذا بلغ إلى قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِيْنَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِيْنَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ عُلم أنّ العلماء أفضل من غيرهم، ثمّ يقال: اقرأ، فإذا بلغ إلى قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمنُوا مِنْكُم وَالَّذِيْنَ أُوْتُوْا العِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾، قيل: قدْ دلَّت هذه الآية على أنّ الله تعالى قدْ اختار العلماء وفضَّلهم ورفعهم درجات، وقدْ أجمعت الأمّة على أنّ العلماء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الذين يؤخذ عنهم العلم كانوا أربعة: عليُّ بن أبي طالب عليه السلام، وعبد الله بن العبّاس، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، رضي الله عنهم، وقالت طائفة عمر بن الخطّاب، فسألنا الأمّة: مَن أولى النّاس بالتّقديم إذا حضرت الصّلاة؟ فقالوا: إنّ النّبيَّ صلى الله عليه وآله، قال: يؤمُّ بالقوم أقرؤهم، ثمّ أجمعوا أنّ الأربعة كانوا أقرأ لكتاب الله تعالى مِن عُمر، فسَقَطَ عمر. ثمّ سألنا الأمّة: أيّ هؤلاء الأربعة أقرأ لكتاب الله وأفقه لدينه؟ فاختلفوا، فوقفناهم حتّى

نعلم، ثمّ سألناهم: أيُّهم أولى بالإمامة، فأجمعوا على أنّ النّبيّ ﷺ، قال: إنّ الأئمّة مِن قريش، فسقط ابن مسعود وزيد بن ثابت، وبقي عليّ بن أبي طالب وابن عبّاس، فسألنا: أيُّهما أولى بالإمامة؟ فقالوا: إنّ النّبيّ ﷺ، قال: إذا كانا عالمين فقيهين قرشيّين، فأكبرهما سنّاً، وأقدمهما هجرة، فسقط عبد الله بن عبّاس رضي الله عنه، وبقي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه، فيكون أحقّ بالإمامة؛ لما اجتمعتْ عليه الأمّة، ولدلالة الكتاب والسُّنّة عليه.

هذا آخر رسالة أبي عثمان عمرو بن بحرٍ الجاحظ».

الهوامشُ

١- زمن النّصّ: الزّمن وتفكيك الوحدة الأيديولوجيّة للنّصّ، حركيّة الزمن، الأيدلوجي، المعرفيّ، جمال الدّين الخضّور: ص١٠٧.

٢- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزّيّات، حامد عبد القادر، محمّد عليّ النجّار: ١/ ١٠٦- ١٠٧.

٣- أساس البلاغة، الزّمخشريّ: ص٧٤.

٤- لسان العرب، ابن منظور: مادّة (حجج).

٥- آل عمران: ٦٦.

٦- الأنعام: ٨٠.

٧- الشّورى: ١٦.

٨- غافر: ٤٧.

٩- يُنظر: لسان العرب: ١٢/ ٢٩٩، مادّة (حجج).

١٠- يُنظر مثلاً: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني: ص٦٢.

١١- يُنظر: الخطابة، أرسطو ترجمة: عبد الرّحمن بدوي: ص٢٢٦.

١٢- blair, J.Anthony, Everyday ArgumenTation from an in for mal logic perspective, 358. نقلاً عن: بلاغة الحجاج في النّصّ الشّعريّ: ص٢٥٧.

١٣- الحجاج في الشّعر العربيّ القديم، من الجاهليّة إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه، سامية الدّريدي: ص٢١.

١٤- الأسس النظريّة لبناء شبكات قرائيّة للنّصوص الحجاجيّة: ص٣٣٦، ضمن كتاب الحجاج: مفهومه ومجالاته، حافظ إسماعيل علوي وآخرون.

١٥- krabbe, Erik, theory of Argumentaion and the Dialectical Garb of For mal logic, p. 123.

نقلاً عن: بلاغة الحجاج في النّصّ الشّعريّ: ص٢٥٩.

١٦- الحجاج في رسائل ابن عبّاد الرنديّ، يمينة تابتي، بحث منشور في مخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، الجزائر، العدد (٢)، ٢٠٠٧م: ص٢٨٤.

١٧- يُنظر: التداوليّة والحجاج، مداخلة ونصوص، صابر الحباشة: ص٢١.

١٨- يُنظر: في بلاغة الخطاب الإقناعيّ، مدخل نظريّ وتطبيقيّ لدراسة الخطابة العربيّة، الخطابة في القرن الأوّل نموذجاً، د.محمّد العمريّ : ص١١٧.

١٩- مقدّمة في الخلفيّة النظريّة للمصطلح، ضمن كتاب: أهمّ نظريّات الحجاج في التقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، د. حمادي صمود: ص٢١.

٢٠- يُنظر: في بلاغة الخطاب الإقناعيّ: ص١١٧.

٢١- البلاغة العربيّة أصولها وامتداداتها، د.محمّد العمريّ: ص١٨٩.

٢٢- خطاب المناظرة في التّراث العربيّ (مقاربات لآليّات بلاغة الإقناع)، أطروحة دكتوراه: ص٤٨.

٢٣- كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، عليّ بن أبي الفتح الأربليّ(ت٦٩٣هـ): ١/ ٤١.

٢٤- غاية المرام وحجّة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاصِّ والعامّ،السّيّد هاشم البحرانيّ(ت١١٠٧هـ)، تحقيق : علي عاشور: ٧/ ١٥٣.

٢٥- الخطابة: ص٨٤.

٢٦- يُنظر: في بلاغة الخطاب الإقناعيّ: ص٢٠٧.

٢٧- يُنظر :البلاغة القديمة ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته: ص١٠٢.

٢٨- يُنظر: في بلاغة الخطاب الإقناعيّ: ص٢٤.

٢٩- الرّسائل الأدبيّة من القرن الثالث إلى القرن السّادس للهجرة (مشروع قراءة إنشائيّة) صالح بن رمضان، رسالة ماجستير: ص٣٩٩.

٣٠- م.ن: ص٤٠٠.

٣١- في بلاغة الخطاب الإقناعيّ: ص٦٥.

٣٢- خطاب المناظرة: ص٢٠٦.

٣٣- م.ن: ص٢٠٧.

٣٤- كشف الغمّة:١/ ٣٧-٣٨، وغاية المرام وحجّة الخصام: ٧/ ١٥٣-١٥٤.

٣٥- كشف الغمّة:١/ ٣٨، وغاية المرام وحجّة الخصام:٧/ ١٥٤.

٣٦-م.ن.

٣٧- القصص: ٦٨.

٣٨- كشف الغمّة:١/ ٣٨، وغاية المرام وحجّة الخصام: ٧/ ١٥٤.

٣٩- الحجرات: ١٣.

٤٠- كشف الغمّة:١/ ٣٨، وغاية المرام وحجّة الخصام:٧/ ١٥٤.

٤١- النّساء: ٩٥.

٤٢- كشف الغمّة:١/ ٣٩، وغاية المرام وحجّة الخصام:٧/ ١٥٤.

٤٣-م.ن.

٤٤- م.ن.

٤٥- يُنظر: في مواضع متفرِّقة من الرِّسالتين في المصدرين المذكورين أعلاه.

٤٦- كشف الغمّة: ١/ ٤٠، وغاية المرام وحجّة الخصام: ٧/ ١٥٦.

٤٧- المصنَّف، ابن أبي شيبة الكوفيّ، تحقيق وتعليق:سعيد اللّحّام: ١/ ٢٣٥، والشرح الكبير، عبد الرّحمن بن قدامة (ت٦٨٢هـ): ٢/ ٢٢، ومعرفة السُّنن والآثار، أحمد بن الحسين البيهقيّ، تحقيق: كسروي حسن: ٢/ ٣٩٧.

٤٨- كشف الغمّة: ١/ ٤٠، وغاية المرام وحجّة الخصام: ٧/ ١٥٦.

٤٩- م.ن.

٥٠- مسند أحمد، أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ): ٣/ ١٢٩، والسّنن الكبرى، البيهقيّ، أحمد بن الحسين(٤٥٨هـ):٣/ ١٢١.

٥١- كشف الغمّة: ١/ ٤٠، وغاية المرام وحجّة الخصام: ٧/ ١٥٦.

٥٢- م.ن.

٥٣- كشف الغمّة:١/ ٣١، وغاية المرام وحجّة الخصام: ٧/ ١٥٨. ويُنظر في تخريج حديث الثقلين مثلاً: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، الشّيخ محمّد باقر المجلسيّ (ت١١١١هـ):٢٢/ ٤٦٥.

٥٤- كشف الغمّة:١/ ٣١، وغاية المرام وحجّة الخصام: ٧/ ١٥٨. ويُنظر في تخريج الحديث مثلاً: بحار الأنوار: ٣٩/ ١٠٨.

٥٥- كشف الغمّة:١/ ٣٢، وغاية المرام وحجّة الخصام: ٧/ ١٥٨. ويُنظر في تخريج الحديث مثلاً: بحار الأنوار: ٤٦/ ٨١.

٥٦- كشف الغمّة:١/ ٣٢، وغاية المرام وحجّة الخصام: ٧/ ١٥٨-١٥٩.

٥٧- يُنظر: في مواضع متفرّقة من الرّسالتين في المصدرين المذكورين أعلاه.

٥٨- كشف الغمّة:١/ ٣١، وغاية المرام وحجّة الخصام: ٧/ ١٥٨.

٥٩- كشف الغمّة: ١/ ٣١، وغاية المرام وحجّة الخصام: ٧/ ١٥٨. ويُنظر قول الإمام عليٍّ عليه السلام في: عيون أخبار الرِّضا، الشّيخ الصّدوق(ت٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق وتقديم: الشّيخ حسين الأعلمي: ٢/ ٧١.

٦٠- كشف الغمّة:١/ ٣٠، وغاية المرام وحجّة الخصام: ٧/ ١٥٧.ويُنظر قول الإمام عليٍّ عليه السلام في: عيون أخبار الرِّضا: ٢/ ٢١٧، ونهج البلاغة(خطب الإمام عليٍّ عليه السلام)، تحقيق: د.صبحي الصّالح: ص٨١٦.

٦١- كشف الغمّة:١/ ٣٣، وغاية المرام وحجّة الخصام:٧/ ١٥٩. ويُنظر قول الإمام عليٍّ عليه السلام في: ينابيع المودّة لذوي القربى، القندوزيّ(ت١٢٩٤هـ)، تحقيق: علي جمال أشرف: ١/ ٤٦٤.

٦٢- كشف الغمّة: ١/ ٣٣، وغاية المرام وحجّة الخصام: ٧/ ١٥٩. ويُنظر قول الإمام عليٍّ عليه السلام في: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد(ت٦٥٦هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم: ١٥/ ٢٠٨، وفي البخلاء، الجاحظ(ت٢٥٥هـ)، تحقيق: عبّاس عبد السّاتر، ص٢٠٨: «وفخرتْ هاشم على سائر قريش، فقالوا: نحن أطعم للطعام، وأضرب للهام».

٦٣- كشف الغمّة:١/ ٣٣-٣٤، وغاية المرام وحجّة الخصام: ٧/ ١٥٩-١٦٠.

٦٤- خطاب المناظرة: ص٢١٢.

٦٥- كشف الغمّة: ١/ ٣٥، وغاية المرام وحجّة الخصام: ٧/ ١٦١. والأبيات منسوبة إلى أُسيد بن أبي زنيم في: رسائل الشّريف المرتضى، الشريف المرتضى(ت٤٣٦هـ)، إعداد: أحمد الحسينيّ: ٤/ ١٢٠، والإرشاد، الشّيخ المفيد(ت٤١٣هـ): ١/ ٧٧-٧٨، ومناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب(ت٥٨٨هـ): ٢/ ١٣١، وأُسد الغابة في معرفة الصّحابة، ابن الأثير(٦٣٠هـ): ٤/ ٢١، والإصابة في تمييز الصّحابة، ابن حجر العسقلانيّ (ت٨٥٢هـ) تحقيق: الشّيخ عادل عبد الموجود، والشّيخ عليّ محمّد معوض: ٤/ ٤٦٥.

٦٦- كشف الغمّة:١/ ٣٦، وغاية المرام وحجّة الخصام: ٧/ ١٦١. والأبيات منسوبة إلى الشّاعر في: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر(ت٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمّد البجاوي: ٤/ ١٦٧٦، والسّيرة النّبويّة (عيون الأثر)، ابن سيِّد النّاس: ٢/ ٣٧٨، وزهر الآداب وثمر الألباب، الحصري القيروانيّ(ت٤٥٣هـ)، تحقيق: محمّد محي الدّين عبد الحميد: ١/ ٦٥، وقد ورد الشطر الثاني من البيت الأخير: وأبينهم إذا نطقوا لسانا.

٦٧- كشف الغمّة:١/ ٣٣، وغاية المرام وحجّة الخصام: ٧/ ١٥٩.

٦٨- شطر بيت لأبي أخزم الطائيّ، وهو جدّ حاتم، أو جدّ جدِّه، مات ابنه، وكان أخزم عاقّاً لأبيه، فمات، وترك بنين عقّوا جدَّهم وضربوه وأدموه، فقال ذلك. ومراد عمر: إنّي أعرف فيك مشابِه مِن أبيك في رأيه وحزمه، فقال :

إنّ بنيَّ رمَّلوني بالدَّمْ مَنْ يَلْقَ آسادَ الرِّجالِ يُكلَمْ
ومَن يكنْ درءٌ به يقوَّمْ شِنشِنةٌ أعرفُهَا مِن أخْزَمْ

الشِّنشِنة: الطّبيعة، والمثل يُضرب للرَّجل الذي يُشبه أباه، وكان أخزم من أكرم النّاس وأجودهم. يُنظر في المثل وقصَّته: مجمع الأمثال، الميدانيّ(ت٥٨١هـ): ١/ ٣٧٥، وجمهرة الأمثال، أبو هلال العسكريّ(ت٣٩٥هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش: ١/ ٥٤١.

٦٩- شرح نهج البلاغة: ١٢/ ٧٩، والفصول في الأصول، الجصّاص(ت٣٧٠هـ)، تحقيق: د.عجيل جاسم النشمي: ٣/ ٢٨٧، ويريد به: أنّه درب بالأمور، عارف بدقيقها وجليلها.

٧٠- عيون الحكم والمواعظ، عليّ بن محمّد اللّيثيّ الواسطيّ (ت القرن السّادس الهجريّ)، تحقيق: حسين الحسينيّ: ص٥٥٦، وفيه: «يحتاج الإمام إلى قلب عقول، ولسان قؤول، وجنان على إقامة الحقِّ صؤول».

٧١- تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلانيّ(ت٨٥٢هـ): ٥/ ٢٤٢، والنِّهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير(ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر محمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي: ١/ ٣٢٨، والبداية والنهاية، ابن كثير(ت٧٧٤هـ)، تحقيق: عليّ شيري: ٨/ ٣٢٥. وهذا القول يدلُّ على كثرة علمه وسعته.

٧٢- كشف الغمّة:١/ ٣٣، وغاية المرام وحجّة الخصام: ٧/ ١٥٩. وفي البخلاء: ص٢٠٨، وذكرها بعض العلماء، فقالوا :«أجواد مجّاد، ذوو ألسنة حداد».

المصادرُ والمراجعُ

- **القرآن الكريم.**

- أساس البلاغة، الزّمخشريّ، جار الله، أبو القاسم، محمود بن عمر، تحقيق: عبد الرَّحيم محمود، ط١، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م.

- الإرشاد، الشّيخ المفيد(ت٤١٣هـ)، ط٢، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر(ت٤٦٣هـ)، تحقيق: عليّ محمّد البجّاويّ، ط١، دار الجيل،بيروت،١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

- أُسد الغابة في معرفة الصَّحابة، ابن الأثير(٦٣٠هـ)، دار الكتاب العربيّ، بيروت، لبنان (د.ت).

- الإصابة في تمييز الصّحابة، ابن حجر العسقلانيّ (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: الشّيخ عادل عبد الموجود، والشّيخ عليّ محمّد معوض، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت،١٤١٥هـ.

- أهمّ نظريّات الحجاج في التقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، د. حمّادي صمود، ط١، منشورات كلّيّة الآداب، منوبة، تونس ١٩٩٨م.

- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، الشّيخ محمّد باقر المجلسيّ (ت١١١١هـ)، مؤسّسة الوفاء، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م

- البخلاء، الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق: عبّاس عبد السّاتر، دار ومكتبة الهلال، بيروت ٢٠٠٤م.

- البداية والنّهاية ابن كثير(ت٧٧٤هـ)، تحقيق: عليّ شيري، ط١، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت(د.ت).

- بلاغة الحجاج في النّصّ الشّعريّ، داليّة الرّاعي النميريّ نموذجاً، د. يوسف محمود عليمات، بحث منشور في مجلّة جامعة دمشق، المجلّد (٢٩).

- البلاغة العربيّة أُصولها وامتداداتها، د.محمّد العمريّ، إفريقيا الشّرق، بيروت، لبنان ١٩٩٩م.
- التداوليّة والحجاج مداخلة ونصوص، صابر الحباشة، ط١، دار صفحات للدّراسات والنشر دمشق، سوريا، ٢٠٠٨م.
- تهذيب التّهذيب، ابن حجر العسقلانيّ(ت٨٥٢هـ)، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
- جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكريّ(ت٣٩٥هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
- الحجاج في الشّعر العربيّ القديم من الجاهليّة إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه، سامية الدّريديّ، ط١، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ٢٠٠١م.
- الحجاج في رسائل ابن عبّاد الرّنديّ، يمينة تابتي، بحث منشور في مخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، الجزائر، العدد (٢)، ٢٠٠٧م.
- الحجاج مفهومه ومجالاته، حافظ إسماعيل علوي وآخرون، ط١، عالم الكتب الحديث أربد، الأردن، ٢٠١٠م.
- الخطابة، أرسطو، ترجمه عن اليونانيّة وشرحه وقدَّم له: عبد الرَّحمن بدوي، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة ١٩٨٠م.
- خطاب المناظرة في التّراث العربيّ (مقاربات لآليّات بلاغة الإقناع)، أطروحة دكتوراه، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، مراكش، ٢٠٠٣-٢٠٠٤م.
- الرّسائل الأدبيّة من القرن الثّالث إلى القرن السّادس للهجرة (مشروع قراءة إنشائيّة) صالح بن رمضان، رسالة ماجستير، كلّيّة الآداب، منوبة، تونس، ٢٠٠١م.
- رسائل الشّريف المرتضى، الشّريف المرتضى(ت٤٣٦هـ)، إعداد: أحمد الحسينيّ، ط١، مطبعة الخيام، قم، ١٤١٠هـ.
- زمن النّصّ: الزّمن وتفكيك الوحدة الأيدلوجيّة للنّصّ، حركيّة الزّمن الأيدلوجيّ المعرفيّ، جمال الدّين الخضور، ط١، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ١٩٩٥م.
- زهر الآداب وثمر الألباب، الحصريّ القيروانيّ(ت٤٥٣هـ)، تحقيق: محمّد محي الدّين عبد الحميد، ط٤، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت.

- السّنن الكبرى، البيهقيّ، أحمد بن الحسين(٤٥٨هـ)، دار الفكر، بيروت (د.ت).
- السّيرة النبويّة(عيون الأثر)، ابن سيّد الناس، مؤسّسة عزّ الدّين للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- الشّرح الكبير، عبد الرَّحمن بن قدامة(ت٦٨٢هـ)، دار الكتاب العربيّ للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان (د.ت).
- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد(ت٦٥٦هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التّراث العربيّ/ عيسى البابي الحلبيّ وشركاه، ١٩٦٢م.
- عيون أخبار الرِّضا عليه السلام، الشّيخ الصّدوق(ت٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق وتقديم: الشّيخ حسين الأعلميّ، مطابع مؤسّسة الأعلميّ، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- عيون الحكم والمواعظ، عليّ بن محمّد، اللّيثيّ الواسطيّ (ت القرن السّادس الهجريّ)، تحقيق: حسين الحسينيّ، ط١،دار الحديث (د.ت).
- غاية المرام وحجّة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاصِّ والعامِّ، السَّيِّد هاشم البحرانيّ(ت١١٠٧هـ)، تحقيق: عليّ عاشور، الكتاب خال من ذكر المطبعة والطبعة، ومكان الطبع وتاريخه.
- الفصول في الأصول، الجصّاص(ت٣٧٠هـ)، تحقيق: د.عجيل جاسم النشميّ، ط١، ١٤٠٥هـ.
- في بلاغة الخطاب الإقناعيّ، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربيّة، الخطابة في القرن الأوّل نموذجاً، د.محمّد العمريّ، سلسلة الدّراسات النقديّة، ط١، دار الثقافة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، عليّ بن أبي الفتح الأربليّ(ت٦٩٣هـ)، ط٢، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م
- لسان العرب، ابن منظور(ت٧١١هـ)، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ.
- مجمع الأمثال، الميدانيّ(ت٥٨١هـ)، مؤسّسة الطبع والنشر التابعة للأستانة الرضويّة المقدّسة(د.ت).
- مسند أحمد، أحمد بن حنبل(ت٢٤١هـ)، دار صادر، بيروت (د.ت).
- المصنّف، ابن أبي شيبة الكوفيّ، تحقيق وتعليق: سعيد اللَّحّام، ط١، دار الفكر للطباعة

والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزَّيّات، حامد عبد القادر، محمّد عليّ النجّار، ط٢، المكتبة الإسلاميّة، (د. م) (د. ت).

- معرفة السّنن والآثار، أحمد بن الحسين البيهقيّ، تحقيق: كسروي حسن، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان(د.ت).

- مناقب آل أبي طالب،ابن شهر آشوب (ت٥٨٨هـ)، المطبعة الحيدريّة، النّجف الأشرف، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٦م.

- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق: محمّد الحبيب بن خوجة، دار الكتب الشرقيّة، تونس، ١٩٦٦م.

- النّهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدّين ابن الأثير(ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر محمّد الزّاوي، ومحمود محمّد الطناحي، ط٤، مؤسّسة إسماعيليان، قم (د.ت).

- نهج البلاغة(خطب الإمام عليٍّ عليه السلام)، تحقيق: د.صبحي الصّالح، ط١، بيروت، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

- ينابيع المودّة لذوي القربى، القندوزيّ(ت١٢٩٤هـ)، تحقيق: عليّ جمال أشرف، ط١، مطبعة أسوة، ١٤١٦هـ.